## ألوان البر"



▶هناك كلمات إسلامية مظلومة ُ القدر مهضومة الحق ٌ، لأن ٌنا حر ٌفناها عن جليل معناها، أو بعدنا بها عن نبيل مغزاها، أو جعلنا نكررها بألسنتنا دون تمعن فيها أو تدبر لمراميها. ومن هذه الكلمات كلمة "البر ّ"، فغاية ما يفهمه كثير من عامة الناّاس عن كلمة "البر ّ" هو المعنى المادي الحسي المحدود، وهو معاونة المحتاجين بشيء من المال أو الصدقة. ونحن — مثلاً — نقول في كثير من الأحيان إن ّ رمضان هو شهر الإحسان، ثم ّ نحسب أن ّ البر في رمضان هو أن نتصدق — فقط — على هذا الفقير ببضعة قروش، أو أن نقد ّ م لذاك المسكين قدرا ً من الطعام، مع أن ّ البر في منطق الإسلام اسم لفضيلة جامعة لأنواع الخير والتوسع فيه، فهو كما يقول بصراء العلماء: البر ّ ُ فعل ُ الواجبات، والبعد عن المحر ّ مات، والبشاشة مع الناّاس، والعطف عليهم، والإحسان إليهم، وتحمل الأذى منهم.

والبر في تعبير القرآن الكريم يفيد معنى الإيمان وما يتبعه من أعمال، فهو يشمل صحة الاعتقاد واستقامة التطبيق، ولذلك يقول الحق جل جلاله في سورة البقرة: (لـَيْسَ الـْبِرِ َ أَنْ تُولَّ وُالَّوَ وَالـْمَغْرِبِ وَلَكَرِنَّ الـْبِرِ َ مَنْ آمَنَ بِاللَّهَ بِاللَّهُ وَ الْيُوهُ كُمْ قَيِبَلَ الْآمَالُ عَلَمَ عُرْبِ وَالنَّيَبِ قِينَ وَآتَى الْهُمَالَ عَلَمَ حُبِيّة وَ النَّيَبِ قِينَ وَآتَى الْهُمَالَ عَلَمَ حُبِيّة وَ النَّيَامَى وَ الـْمَالُ عَلَي حُبِيّة وَ النَّيَبِ قِينَ وَآتَى السَّائِيلِ وَ السَّائِينَ وَفِي ذَوِي النَّقَرُ بِي وَ السَّائِيلَ وَ السَّائِيلَ وَ السَّائِيلَ وَ فَنِي الرَّقَامَ السَّالَة وَآتَى الزَّكَاة وَ الاَمْوَفُونَ بِعَهَ هُدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ السَّابِرِينَ فِي النَّيكَ السَّنَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَحَيِنَ النَّبَأَسُ أَولَنَذَكَ السَّنَدَ يِنَ صَدَ قُوا وَ الْمُولَ لَا يَلُكُ هُمُ النَّمُ تَّ قَوُونَ ) (البقرة/ 177).

ولقد رووا أنّ رسول ا□ (ص) سُئل عن البرّ، فتلا هذه الآية الكريمة.

ويقول (ص) أيضا ً: "البر حسن الخ ُلمُق، والإثم ما حاك في صدرك (أي تردد) وكرهت أن يطلع عليه النَّاس". ويقول في حديث آخر: "البرِّ ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك النَّاس وأفتوك".

وهذا هو القرآن الكريم يعطّ ِر ذكر البرّ في مواطن منه، ونحن نرى من جلال مكانة "البرّ" أنّ ا[ تبارك وتعالى قد جعل لذاته القدسية اسما ً مشتقا ً من مادته، وهو اسم "البَرّ ُ"، فقال القرآن في سورة الطور: (إِنَّا كُنَّا مِن° قَبْلُ نَد°عُوهُ إِنَّهُ هُوَ الـْبَرّّ ُ الرّّحَيِمُ) (الطور/ وجعل القرآن المجيد فضيلة البرّ صفة ً من صفات الأنبياء والمرسلين، فقال في سورة مريم عن زكريا (ع): (وَ بَرَّاً ا بِوَ الرِدَيْهِ وَلَامَ ْ يَكُنْ ۚ جَبَّارًا ءَصِياً) (مريم/ 14). وقال في السورة نفسها على لسان عيسى (ع): (و َبَرَّاً ا بِو َالرِد َتَيِي و َلاَم ْ ي َج ْع َلاْنَدِي جَبَّارًا ش َقَيِيًّا) (مريم/ .(32

ومن دقائق التعبير في القرآن الكريم أنّه بعد أن عدّد أعمال البرّ الكثيرة الكبيرة في آية البرّ: (لَيْسَ الْبِرِّ أَنَ ْ تُوَلَّبُوا و ُجُوهَ كُمْ ْ قِبَلَ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ...) (البقرة/ 177) إلخ.

ختم هذه الآية بقوله عن أولئك الأبرار الأخيار: (أ ُول َئ ِكَ السَّذ ِينَ صَد َقُوا و َأُول َئ ِكَ هُمُ السَّم الدَّم ُتسَ َقُون َ) (البقرة/ 177)، ولو رجعنا إلى الآية الكريمة التي فرض ا فيها فريضة الصوم على عباده لوجدناها تقول: (ياً أَيسٌ ُها السَّذ ِينَ آم َن ُوا كُت ِب َع َلمَي ْكُم ُ الصرِّيام ُ كَما كُت َل كُع َل كُت عَلَي كُم ْ تَتسَ َق ُون َ) (البقرة/ 183). فهناك في آية البرسّ قال: (واً وُل َئ َكُ هُمُ الدُّم ُتسَ َق ُون َ)، هناك في آية الصيام: (لاَع َلسّك ُم ْ ت َتسّ َق ُون َ) البرسّ قال: (واً وُل َئ َكُ مُ الدُّم ُتسّ َق ُون َ)، هناك في آية الصيام: (لاَع َلسّ كُم ْ ت َتسّ َق ُون َ) فكأن ّ الصيام طريق يؤدي إلى تحقيق البرسّ، لأن ّ البرسّ كما قالت الآية صفة المتقين، وكذلك يقول ا قعالى في سورة البقرة: (والكرن والسرّ، الأن البرسّ كما قالت الآية صفة المتقين، وكذلك يقول التعالى في سورة البقرة: (والكرن والتقوى معنى كبير واسع، فالتقوى وقاية وصانة من جهة أخرى، بإتيان كل عمل طيب وسعي حميد.

والبر "يتفرع إلى ألوان وأنواع، فهناك البر "بالإنفاق لوجه ا□ تعالى، وفيه يقول رب "العزة: (لَنَ " تَنَالُوا الْبر " حَتَ ّى تَنْفْقَوْا مِم ّا تُحْدِ " ُونَ وَمَا تُنْفْقُوا مِنْ شَيْءَ وَاَ إِنَ " اللّهَ عَلَيم ) (آل عمران/ 92)، ولقد ضرب لنا أروع الأمثال في بر المؤمنين بانفاق أموالهم في سبيل ا□ عز "وجل "، حتى استحقوا أن يقال فيهم: (و َيُطْعَمُونَ الط ّعَامَ عَلَى حُبُر "هُ مَسْكَينًا و يَتَتِيمًا و َأُسَيِرًا \* إِنَّ مَا نُطْعَم كُمُ الْرِوَجُه لِاللّا هُ لا نُرِيدُ وَبُدُم ْ حَرَاءً و لا شُكُورًا) (الإنسان/ 9-8). وأن يقال فيهم: (و َيُؤْثَرَوُن عَلَى أَنْفُسِه مِ وَلَو كَانَ بِهِ مُ خَصَاصَة و وَمَن ْ يُوقَ شُحَ ّ نَفْسِه ِ فَالَحشر / 9). الذير هُمُ اللّه مُ الدَّه وَلَا شُكُورًا)

وهناك برّ الوالدين، بعدم عقوقهما أو الإساءة إليهما، وبالإحسان إليهما كلّ الإحسان، ولذلك يقول الرحمن: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَا إِيَّاهُ وَبَالْوَالدِدَيثْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عَنْدُدَكَ الْكَبِبَرَ أَحَدُهُمُا أَوْ كَلِهمُمَا فَلَا تَقَلُلْ لَهُمَا أُفَّ ٍ وَلا تَنَنْهِبَرْهُمُا وَقُلُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهِمُا جَنَاحَ الذّّلُرِّ مَنَ الرّّحْمَة ِ وَقُلُلْ رَبِّ الرْحَمْهُمَا كَمَا رَبِّيمًا كَمَا رَبَّيَانِي صَغْلِيرًا) (الإسراء/ 24-23).

وهناك برِّ الأقارب وذوي الأرحام، والقرآن يقول: (و َأُ ول ُو الأر ْ ح َام ِ ب َع ْ ش ُه ُم ْ أ َو ْل َ َ ب ِب َع ْ ش ِ ف ِي ك َ ت َاب ِ اللّ َ ه ِ) (الأحزاب/ 6). وجاء في الحديث القدسي أنِّ الرحم قالت لربّها: هذا مقام العًائذ بك من القطيعة، فقال لها: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟. قالت: بلى يا رب، قال: فذاك لك!. وفي الحديث النبوي ّ: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإنّ صلة الرحمن محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر".

ومن لطائف البرّ في منطق الإسلام أنّ الإنسان لا يكون بارا ً إلا إذا كان صادقا ً، ولذلك فسروا البرّ بالصدق، وتقول لغة العرب: برّ فلان ُ في يمينه، أي صدق فيها، وبرّ فلان بوعده إذا وفاه، وبرّ فلان بكلامه، إذا صدّقته بالعمل، ويقال: حجة مبرورة، أي مقبولة قبول َ العمل الصادق. ويقول الرسول (ص): "عليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وانّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند ا□ صدّ َ يقا ً ". ◄